بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

،أمابعد :

فقد فرغنا في المرة الماضية من الحديث السادس عشر، ونكمل اليومَ إن شاء الله في هذا المتن المبارك..يقول المصنفُ- رحمه الله تعالى-: (**عن أبي يعلَى شدّادِ بن أوسٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ اللهَ كتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتَلْتُم فأحسِنوا القِتْلَة، وإذا ذبحْتُم فأحسِنوا الذِّبْحة، ولْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَهُ، وَلْيُرِحْ ذبيحتَه. رواه مسلم)** ..هذا الحديث قال فيه العلماء :حديثٌ جامعٌ لقواعد كثيرة..ذكر هذا النووي وابن دَقيق..وقوله -رحمه الله-: (**عن أبي يعلَى شدّادِ بن أوسٍ رضي الله عنه)**..راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل شدّادُ بن أوس بن ثابت الأنصاري، وهو ابنُ أخ حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم..كنيته أبو يعلى، شهِدَ بدراً، وكان مشهوراً بالحِلْمِ والفصاحةِ والعلم..له قَصَص وأخبار، وله أقوالٌ في غاية الحِكمة..توفّي سنة ثمانٍ وخمسين بالقدس وعمره خمسٌ وسبعون سنة.

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**إنَّ اللهَ كتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ**)..كتب: يعني فرَضَ وأوجب..مثل قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾[**البقرة :183**] ،يعني فُرِضَ عليكم الصيام..وهذا يذكره أهل الأصول في مبحث الفرض والواجب..وهل المقصود هنا: الكتابةُ القدريّة الكونيّة، أو الشرعية؟ يعني: هل المعنى: قدّر اللهُ الأمورَ كلَّها على الإحسانِ والتمام فهو واقعٌ لا محالة؟، أو المعنى: أوجبَ عليكم شرعاً أن تُحسِنوا في كلّ شيء؟ قولان لأهل العلم؛ فبعضُهم قال بالأول؛ قالوا المقصود الكتابة الكونية لظاهر قوله (**على كلِّ شيءٍ**) ، ففيه خلقُ المخلوقاتِ على هذا الإحسانِ و فيه جريُها على الإحسان ..والظاهر من السِّياق أنَّ المراد هو الثاني" الكتابة الشرعية"..هذا هو الظاهر؛ لأنّه مثّل بمثالين يتعلّقان بأحكامِ المكلّفين كما سيأتي..وبناءً على هذا يُقال: الأصلُ والواجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يُحسِن في كلِّ عملٍ يقومُ به؛ لأنه واجبٌ شرعي..وقوله صلى الله عليه وسلم : (**كتب الإحسان**)..الإحسان: مصدرُ: أحسَنُ يُحسِنُ..والمراد من الإحسان في

مثل هذه النصوص: الإتيانُ بالعمل أو المطلوبِ على وجهٍ حسَنٍ تامٍّ مُتقَن ومحْكَم؛ يعني يدور على هذه المعاني..ويشمَلُ الإحسانَ في الأمورِ الواجبة، وفي الأمورِ المستحبّة كذلك، فأحسِنْ فيها كلِّها.

وقوله صلى الله عليه وآله: (**على كلِّ شيءٍ**)..قال بعضُ العلماء: (على) هنا بمعنى (في)، يعني: كتب الإحسان في كلِّ شيء..وقال جمعٌ من أهلِ العلم: هي على بابِها: مثل: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾[**البقرة :183**] ، ويكون المعنى: فَرَضَ أن يُحْسِنَ عبدُه الوالي والمسئول على كل شيءٍ تحتَ وِلايتِه ومسئوليّتِه في عملٍ ما..هكذا تخريجُها، وهناك أقوالٌ أخرى.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**على كلِّ شيءٍ**)..كلّ شيء ؛ العلاقة مع الله كما جاء في "الصحيح": (أن تعبدَ الله كأنّك تراه)، إحسان في الصلاة، في الفريضة، في النافلة، إحسان في الصدقة، في الدرس، في تربيةِ الأولاد، في البنات، كما جاء في الصحيح: (من ابتُلِيَ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار) ، كذلك في حقوق الزوج من الطرفين، في الوالدين كما قال تعالى: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾[**الإسراء :23**] ، في حقوق الجار، في الدوابّ، في البيئة، مع الخدم..في كلِّ شيء..هكذا أخبر نبيُّنا ﷺ، قال : (**على كلِّ شيءٍ**) ..وهو على وجه الإجمال يشمل العلاقةَ مع الله، والعلاقة مع خلقه، هذا على وجه الإجمال..ثمّ مثَّل بمثالين؛ وهذا من حُسْنِ التعليم، أن تذكرَ القاعدةَ وتمثّل بعدها بمثالين..فقال صلى الله عليه وسلم: (**فإذا قتَلْتُم**) يعني: إذا أردتُم قتْلَ مَن أمرَكمُ اللهُ بقَتْلِه سواء في معركةٍ أو حدودٍ أو غيرِها..قال صلى الله عليه وسلم : (**فأحسِنوا القِتْلَة**)..القِتْلة: بكسر القاف يعني هيئة القَتْل..وهذه قاعدة عند أهلِ اللغة؛ فما وُضِع دالاً على الهيئة يكون على صيْغَةِ فِعْلَة..مثل: مِشْيَة، جِلْسَة، مِيْتَة، قِتْلَة، ذِبحَة..ونحو ذلك..فقوله صلى الله عليه وسلم : (**فأحسِنوا القِتْلَة**)..يعني: أدُّوا هيئةَ القَتْلِ على وجه الإحسان مِن إزهاقِ الروح المأذون في إزهاقِها يعني بسهولةٍ دونَ تعذيبٍ أو تمثيلٍ؛ ففي القِصاص يُقتَلُ بالآلةِ التي قتَل بها أو بمثلِها على خلافٍ بين الفقهاء، وبالنسبة للكافر: يُقتَلُ بالسيفِ أو بالرصاصِ ونحوه دون أن يُمثَّلَ به..وهذا فيه تفصيلٌ عند الفقهاء ليس هذا موضع بسطه..والمرادُ به هنا: ما كان من بني آدم أو الحيوان الذي لا يؤكَل من

السباع الضارية أو غيرِها ، هذا هو المراد بالقتل ،وانظروا كيف أمَرَ بالإحسانِ في مثل هذه المواضع التي يغيبُ فيها مثلُ هذه المعاني، في موضع القتل..فكيف بالأحياء؟! وكيف بالإحسان في غير موضع القتل؟!..هذا الموضع ينبغي لنا يعني تأمّله.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**وإذا ذبحْتُم فأحسنوا الذِّبْحة**)..يعني: وإذا أردتُم ذبحَ ما أحلَّ اللهُ لكم فأحسِنوا هيئةَ الذَّبح؛ وذلك بإزهاقِ الروح على وجه السهولة دون تعذيبٍ، وبالطريقة التي وردَت في الشرع..والمرادُ به هنا: ما يُؤكَلُ من الذبائح مما تحلُّه الذكاة، والذكاةُ لها شروط، وما يُؤكَل كذلك له شروط؛ لكن الوقت لا يسمح لذكرِ ذلك كلِّه، ومحلّه كتب الفقه.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**ولْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَهُ، وَلْيُرِحْ ذبيحتَه**) ..يعني: ليُسِنَّ أحدُكم آلتَه التي يذبَح بها..وهي في الغالب السكّين، وقد تكون من حصا أو خشب..لأنَّ سَنَّه أسرَعُ في إزهاقِ الروحِ؛ وهذا من الإحسان.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**وَلْيُرِحْ ذبيحتَه**) يعني يُحِدَّ شفرتَه بعد أن يُضجعَها كما في جاء في بعض الأحاديث (أتريد أن تُميتَها مرّتين) أو كما جاء.وكذلك يُسرِع إمرارَ السكين ،قال الإمام أحمد –رحمه الله–" تُقاد إلى الذَّبحِ بالرفق، ولا يُظهِر لها السكين إلا عند الذّبح، ولا سَلْخَ حتّى تبرُد"..وكذلك لا تُذبَح الذبيحةُ أمامَ أختِها، ولا يُذبَح الولدُ أمامَ أمِّه.

ولكم أيّها أن تتأمّلوا مقدارَ الرحمةِ والشفقة في هذا الدين ؛فذبح الذبائح للأكلِ أمرٌ لابدّ منه، وكلّ الخلقِ يفعلُه؛ كل الخلق يعني يذبحون الذبائح هذا أمر لابدّ منه، لكن هذا الدين العظيم، جاء بالإحسانِ حتّى في هذه المواقف التي تُنافي في ظاهرِها الأمرَ بالإحسان ، وقد رأينا في بعض البلاد الشمالية الشرقيّة مَن يذبَح بطريقةٍ غريبة وعجيبة، يشقُّ بطنَ الذبيحة وهي حيّة،يعني يشقّ بقدْر قبضةِ اليد، ويُدخِلُ يدَه ليقطع عِرقَ القلبِ والذبيحة حيّة!!

ومنهم من يقتلها بضرب رأسها على الأرض، ومنهم من يقتلُها بالماء أو بالحريق أو بالطّحن..إلخ هذه الصور الفظيعة..وخلاصةُ هذا الحديث: الأمرُ بالإحسانِ في كلِّ شيءٍ تحت ولايتكَ واستطاعتك من برٍّ وصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبيعٍ وشراءٍ وقضاءٍ وكلِّ شيء ،فعلينا أن نجتهد في تحصيلِ هذه الصفة، لعلّ اللهَ سبحانه وتعالى يجعلنا من المحسنين.

وابن دَقيق العيد –رحمه الله– قال كلاماً هنا نفيساً، يقول –رحمه الله–: " والاعتراف لله تعالى بالمنّة والشكر على نعمه ، فإنه سبحانه سخّر لنا ما لو شاء لسلّطه علينا ، وأباح لنا ما لو شاء لحرمّه علينا "

هذا كلامٌ نفيس؛ فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلالِ وجهك وعظيم سلطانك.

ثم قال المصنفُ –رحمه الله تعالى–: (**عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ".رواه الترمذي وقال: حديث حسن.وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيح).**

هذا الحديث من الأحاديث المهمة، اشتمَلَ على معانٍ جليلة، ووصايا نافعة،قال العلماء: جامعةٌ لحقوق الخالق والمخلوق.وفصّل بعضُهم فقال: حقّ الله، وحقّ المكلّف،وحقّ العباد، وهذا صحيح كما سيأتي.

وقوله –رحمه الله–: (**عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ**) هذا الراوي هو الصحابي الجليل المشهور بالزهدِ "جندُب بن جُنادةَ الغِفاري" وكُنيتُه أبو ذرٍّ ..كان يتعبّدُ اللهَ يعني قبل مجيءِ الإسلام، وهو من الذين أسلموا قديمًا ،مناقبُه كثيرة..قال فيه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (مُلِئَ عِلمًا) مات في سنة اثنين وثلاثين تقريبًا في خلافةِ عثمان رضي الله عنه.

وقوله –رحمه الله–: (**وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه**).. وهذا الراوي صحابيٌّ أيضاً، واسمه" معاذ بن جبَل بن عمرو الأنصاري" كُنيتُه" أبو عبدالرحمن"، شهِدَ بدراً وباقي المشاهد، وحفِظَ القرآنَ في حالِ حياةِ النبي صلى الله عليه وسلم..وهو من فقهاءِ الصحابةِ الكِبار، الذين شُهِد لهم بالعلمِ والفقه، وهو من أعلمِ الصحابةِ بالحلال

والحرام..مات في خلافةِ عمر رضي الله عنه بالأردن بعدما أصابه الطاعون، وعمره بضعٌ وثلاثون سنة.

إذن هذا الحديث رواه صحابيان، ولكنّ أهلَ الحديثِ يقولون: لا يصحّ من حديث معاذ، وإنما الوارد من حديث أبي ذر رضي الله عنه كما أشار إلى هذا الإمام أحمد ووكيع وكذلك الدارقطني وغير واحد.

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ)**..التقوى في الأصل بمعنى الوقاية ،فمَنْ اجتنَبَ شيئاً وخاف منه؛ جعلَ بينه وبين ذلك الشيء واقٍ يقيه، هذا أصلُ الكلمة ،ومَن عرَف الله بأسمائِه وصفاتهِ عظّمهُ ،ومن جملةِ تعظيمِه الخوفُ من غضبهِ وعقابهِ وبطشه ،ومَن عرفَ المولى جلّ وعلا اتّقى أسبابَ سخطِه، وسلكَ سبيل رضاه ،وتعرفون قِصّةَ أبي هريرة رضي الله عنه لّما سُئِلَ عن التقوى فقال: "أرأيتَ ما تصنَعُ إذا سلكْتَ طريقاً فيه شوك؟ تنتبه لمواطئ قدمِك، وتجتنبُ الأذى؟ هذا هو التقوى "

وفي ذلك يقول الحكيم:

دعِ الذنوبَ صغيرَها *** وكبيرَها ذاك التّقى

واصنعْ كماشٍ فوق أر *** ضِ الشوكِ يحذرُ ما يرى

لاتحقرنَّ صغيرةً *** إن الجبالَ من الحصى

والتقوى درجةٌ رفيعة، أفلَح واللهِ مَن اتّصفَ بها، فهي وصيّةُ اللهِ للأوّلين والآخرين، وهي وصيّةُ الأنبياء جميعاً، وهي سببُ الكرامةِ عند الله، التقوى سبب الكرامة عند الله ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[**الحجرات:13**] ، وهي النجاةُ من الأهوالِ والأحوالِ في الدنيا وفي الآخرة؛ في الآخرة كذلك ،كما قال تعالى :﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ وَّنَذَرُ**

الظّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:72] ،وكذلك هي خيرُ زاد كما قال تعالى: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنّ خَيْرَ الزّادِ التّقْوَى﴾[البقرة:197]**

التقوى هي زادُك عند أحوجِ ما تكون،وفي ذلك يقول الحكيم:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِـــزَادٍ مِـــنَ التُّقَى *** وَلاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَـــى أَنْ لا تَكُـــونَ كَمِثْلِهِ *** وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَـــدَا

والله المستعان

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**حَيْثُمَا كُنْتَ**) يعني في أيّ وقتٍ كنت، وفي أيِّ مكان تكون ؛لأنَّ "حيثما" ظرف يصلح للزمان والمكان ،فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم يوصي بالتقوى في أيِّ مكانٍ وزمان تكون فيه ؛بعضُنا يعصي اللهَ إذا انفرَد وتوارى عن الخلق، ولا نعلم يقيناً أنَّ الخالق يرانا، فمعصيةُ اللهِ في الخفاءِ في الحقيقةِ يعني من عصى الله في الخفاء جعلَ اللهَ أهونَ الناظرين إليه؛ الله سبحانه جل وعلا يراك في الشارع أو في بيتك أو في دولة أخرى، في مترلك في ليلٍ أو نهارٍ أو صفحِ جبل أو بطنِ وادٍ أو في ظلمات البحر والأمواج في أيِّ مكان وفي أيِّ زمان ،في خلوة أو جلوة، في فقرٍ أو غِنى، في خوفٍ أو أمن، في أيِّ حال وعلى أي وضعٍ تكون، فإنَّ اللهَ سبحانه جلّ وعلا يراك، وفي قبضتهِ جميعُ الأمورِ والأحوال، ولا يُعجزُه شيء؛ فلماذا تعصيه؟! لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه ،ولا يُوجَدُ أنفَعُ من طاعات السرّ والخلوات؛ فهي سببُ السعادةِ في الدارين؛ضعْ محبةَ الله ومخافتَه بين عينيك، وتذكّر وقتَ الرحيلِ؛ وقت انتقالك،نحتاج إلى مثلِ هذه المعاني كثيراً، وأعظَمُ ما يُستجلَبُ به هذه المعاني، مدارسةُ صفاتِ اللهِ وأسمائهِ بالطريقة التي وردَت في القرآن.

والخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم : **(اتقِ الله)** يشمَل جميعَ أفرادِ الأمّة.

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها)** الجملة الأولى: **(اتقِ الله)** جاءتْ في علاقةِ الإنسانِ مع ربّه ،والجملة الثانية: **(وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها)** فيما يتعلّق بالإنسانِ مع نفسِه وذنوبه ،وسُمّيَت السيئةُ سيئةً لأنها تسوءُ صاحبَها -نسأل الله السلامةَ والعافية-.

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها)** السيئة هي المتبوعة، والحسنة هي التابعة ،فمعنى الكلام: إذا وقعَت السيئةُ وعمِلْتَها؛ فأتْبِعْها بفعل الحسنة بقصدِ محوِها ، بقصد محوها ،هذا هو ظاهرُ اللّفظ، والقصد لما قلنا : بقصد محوها؛ القصد يتضمّنُ التوبةَ والندمَ على فعلِ السيئة ،وهذا يدلّ على أنَّ الإنسانَ قد يقع منه السيئات، ويفعل بعضَ المنهيّات؛ فحينئذٍ تُبْ إلى الله وهذا أوّل الحسنات، وارجِعْ واعمَلْ حسنةً تمحُ السيئة كما قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾**[هود: 114]** ،وقد ذكرَ العلماءُ الحسناتِ التي تُذهِبُ السيئات لكن لا يتّسع المقام لذكرِها.

وهنا سؤال: هل يُشترَطُ قصدُ التوبةِ عند فعلِ الحسناتِ لمحو السيئات؟

الجواب: يُفرِّقُ جمعٌ من أهلِ العلم بين الصغائر والكبائر؛ فيشترطون ذلك في الكبائر دون الصغائر لأدلّة كثيرة مذكورةٌ في الشرح الثاني ،وهنا تنبيه: ذكرَ ابنُ عبد البَر -رحمه الله- أنَّ السلف على محْوِ الصغائر بالأعمال الصالحة، وأنَّ الكبائر يُشترَطُ فيها التوبة، وهذا الكلام منه -رحمه الله- لا يعني به كلَّ الكبائر؛ فهناك بعضُ الكبائر التي يغفرُها اللهُ سبحانه وتعالى بلا توبة؛ وفضْلُ اللهِ واسع، ورحمتُه وسعَتْ كلَّ شيء، وقرَّرَ هذا أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله-، ومثَّلَ له بقصةِ البغيِّ التي سقَت الكلب فغفرَ اللهُ لها.

ثانيا: إن كان المقصودُ بالمحوِ الذهابُ بالكلّية؛ فالظاهر أنه لابدّ من القصدِ في بعض الذنوب وبعضِ الأحوال، وإن كان المقصودُ رجحانَ الحسناتِ عند الموازنة فتُذهِبُ أثرَ السيئة؛ فالقصدُ في هذا غير مُشترَط ، والكلام فيه تفاصيل كثيرة. وأخذ القصد أخدناه من قوله(**وأتْبِعِ**) كأن فيه قصد ، كأن فيه قصد .

طيب لا يفهمْ يعني من هذا الكلام؛ لا يفهم سامعٌ أنَّ الإنسانَ يتساهلُ في فعل المعاصي؛ فيفعلُ الذنوبَ ثم يُتبِعُها بعملٍ صالح وانتهى الأمر!..لا..هذا لا يُتصوّرُ من نادمٍ تائب؛ لأنَّ من شروط التوبة أن يعزِمَ على ألاّ يفعلَ المعصيةَ مرة أخرى ،وأما مَن يتعمّد الفعلَ ويقول سأتوب بعدها وأعود وهكذا؛ فهذا على خطرٍ عظيم ،هل تعرِفُ خاتمتُك؟! ثم أمرٌ آخر: مَن كان يتعمَّدُ مثلَ هذه الأفعال؛ قد لا يُوفّقُ لتوبةٍ ولا عمل ؛فيا أخي: رحمةُ الله واسعة، هذا صحيح ولا شكّ فيه ،فلا تجعلْها ذريعةً للمعاصي والتهاونِ في أمر الله ،فإذا وقعَ منك ذنبٌ بعد توبةٍ صحيحةٍ وندمٍ وعزيمةٍ على ألا تفعلَ المعصية ؛فإنَّ رحمةَ اللهِ واسعة، يغفرها لك مرة أخرى إذا تبْتَ ورجعْتَ ،وقد جاء في "الصحيحين" في الحديث القدسي أنَّ الله تبارك وتعالى قَالَ: (**أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء**) وقوله: (فلْيفعل ما شاء) يعني ما دام هكذا، يقعُ منه الذنب فيتوب ويندم ويرجع إلى الله ويُنيب ،فهل رأيتُم كرماً مثلَ هذا الكرم؟! فضلُ اللهِ واسع.

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**) هذه الجملة كما يقولون" مربط الفرَس" كثير منّا يظنّ أنَّ التقوى والدين والورع يتعلّق بالعبادات فقط، في المحراب،

فيما بين العبد وربّه فقط..وأما الخلق؛ فافْعَل ما شئت بهم،وهذا غير صحيح ؛الإيمان درجات، ومن أعلى درجات الإيمان المعاملات والأخلاق؛ بل لا تتمُّ التقوى إلا بحسْنِ الخُلق ،ولذلك جاء في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم : (**إنّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**)، ولّما سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدخِلُ الناسَ الجنة قال: (تقوى الله، وحسنُ الخلق) ومَن أساءَ إلى الخلق؛ كان عملُه لغيرهِ ، من أساء إلى الخلق كان عمله لغيره ، يعني لا ينتفع بعمله، كل ما يعمَلُ من حسنات؛ تُوزّعُ على غيرهِ يوم القيامة؛يأتي بأعمالٍ كالجبال ويدخل بها من كان يُبغِضُهم ويُسيءُ إليهم ؛يدخلون بها الجنة ،ولذلك مَن حَسُنَ خلقُه نَفَعهُ عملُه الصالح ولو كان قليلاً ،وحسنُ الخُلُق يُبذَلُ للمحسنِ والمسيء .

ومما قيل في تعريف حُسنِ الخُلق: بسْطُ الوجه، وكفُّ الأذى، وبذلُ المعروف.وقال الإمام أحمد –رحمه الله–: "لا تغضَبْ"، وقال مرة:" احتَمِلْ ما يكون من الناس".

طيب هل حسْنُ الخلق كسبي أو جِبلّي؟ الجواب: منه ما هو كسبي ومنه ما هو جِبلّي ؛ومن ألزَمَ نفسَه بحسنِ الخلق و لم يكن يعني من طبعه أعظمُ أجراً ممن جُبِلَ عليه لأدلّةٍ كثيرة.

وقوله– رحمه الله–: (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن.وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيح**) لعلَّ الأقرب عدمُ ثبوتِ تصحيحِ الترمذي ،والحديث لا يخلو من ضعف، معناه صحيح ، معناه صحيح.

ثم قال المصنفُ –رحمه الله–: (**عَنْ أَبِي العَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي صلى الله عليه وسلم يَومَاً فَقَالَ: (يَا غُلاَمُ إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفَظْك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَتْ عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ**

إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح– وفي رواية –غير الترمذي: (اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشّدةِ، وَاعْلَم أن مَا أَخطأكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئكَ، وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً).

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، وقد أفردَه ابن رجب –رحمه الله– بكتابٍ مستقل، فشرحه شرحاً وافياً ،واسمُ رسالته "نور الاقتباس في مشكاةِ وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس " وقد تتابع العلماءُ على ذكرِ أهمية هذا الحديث.

وقوله –رحمه الله–: (**عَنْ أَبِي العَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما**) راوي الحديث عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ؛ هذا ابن عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم ،كنيتُه: أبو العباس ،وُلِدَ في السنة الثامنة أو التاسعة من البعثة ، فهو في السنّ من صغار الصحابة، لكنه في العلم والمقام من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ،بلغ درجةً عاليةً جدّاً في العلم، حتّى لُقِّبَ بتُرجمان القرآن ،دعا له النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: (اللهم فقّههُ في الدين، وعلّمهُ التأويل) مناقبُه كثيرة جداً قلّ نظيرُه في العلم والقرآن بالذات ،مات سنة ثمانٍ وستين بالطائف، وعمره قريبٌ من السبعين رضي الله تعالى عنه.

وقوله– رضي الله تعالى عنه– : (**كُنْتُ خَلْفَ النبي صلى الله عليه وسلم يَومَاً**) أكثر الشرّاح على أنه رديفُه على دابّة، ويحتمِلُ غيرَه.

وقوله– صلى الله عليه وسلم –: (**يَا غُلَامُ**) هذا يدل على أن ابنُ عباس صغيراً دون البلوغ ؛ وهذا صحيح كان دون البلوغ ،وناداه بالغلامِ تلطّفاً منه، فإنَّ الذي يُلقي النصائح والعلم دون فتحٍ للقلوب؛ كالذي يُريدُ أن يُطعِمَ شخصاً أو يُلقِمُه وهو مغلقٌ

فاهُ..هذا لا يُمكن؛ فلابد من فتْحِ القلوب، وهذا نوعٌ من الحكمةِ تُكتسَبُ بمصاحبة الحكماء وقراءةِ أخبارِهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (**إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**)يعني جملاً قليلةَ الألفاظِ لكنها جزيلةُ المعاني ،وهذا فيه فائدة:علينا أن نعتني بالأصولِ والعبارات الواضحةِ المؤدّيةِ للمقصود ،وكثير من الفضلاء يطوّل الموعظة حتّى يُنسي آخرُها أوّلَها، ويفوت المقصود ويُنفّر الناس ،وقد غضِبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال: (إنَّ منكم منفّرين) كما في "الصحيح".

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**) هذا الأسلوب أدعى للاهتمام، والمقصود بهذا التعليم: الحفظ والعمل والتبليغ ،وفيه كذلك: الاهتمامُ بتربية الصِّغارِ وغرْسِ معاني الإيمانِ والتوحيد والتوكّلِ في قلوبِهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**احْفَظِ اللهَ يَحفَظْك**) يعني: احفَظْ أوامرَ اللهِ وحدودَه في العقائد :المحبّة والتسليم والانقياد والرِّضى، وفي العبادات :في وضوئك وصلاتِك وصيامِك وحجّك وصدقتِك، وفي المعاملات: في بيعِك وشرائكِ ،في صدقتك في نصحِك، في اجتنابِ الشبهات،في كلامك، في صدقك ، وفي المعاشرات وفي الأخلاق؛ يحفظْكَ اللهُ حينئذٍ في دنياكَ وآخرتِك ؛يحفظكُ في دنياك: في بدنك، ومالك، وولدك كما في قصّة الرجل الصالح الذي في سورة الكهف، حفِظَ الله له أولادَه ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾**[الكهف:82]** هذا الدين ليس كما يظنُّ كثير من العوام أنّه للآخرة فقط؛ هذا الدين يحفَظُ دنيا الإنسانِ وآخرتَه ،فإنَّ اللهَ بيدهِ الدنيا والآخرة ،وفي ذلك يقول الحكيم:

بــتقوى الإله نجا مــن نجا *** وفاز وصار إلى ما رَجَا

ومن يتــق اللهَ يــــجعل له *** كما قال من أمره مخرجاً

ويرزقْه من حيث لا يحتسب *** وإن ضاق أمراً به فرَّجا

وكذلك يحفظْكَ في آخرتِك: يعني دينك وجوارحك من المعاصي، وقلبَكَ من الشبهات والشهوات، وخاتمَتَكَ من سوء الخاتمة ،ويكفي أن يكون العبدُ ولياً من أولياءِ الله؛ فإن اللهَ حينئذٍ يتولاّه بحفظهِ ورعايتهِ ومعيّتِه الخاصة ،وهذا كما يقولون: الجزاء من جنس العمل.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**)أعادَها ثانيةً لبيان بعضِ ثمارِها وفوائدِها، والمراد بـــــ (**تجدْه تُجاهك**) يعني معك أينما توجّهْتَ بمعيّتِه الخاصّة، بالتأييد والحفظِ وقتَ الشدائدِ، يَدُلُّكَ على الخيرِ ويُرْشِدُكَ.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**) يعني: إذا دعوْتَ وطلبْتَ أيَّ حاجةٍ فاسألِ اللهَ ،لماذا أسألُ اللهَ؟ لأنَّ الأمورَ كلَّها بحذافيرِها في قبضة المولى جلّ وعلا، هو الغني الذي لا يطرأ على غِناه فقرٌ بأي وجهٍ من الوجوه، والكريم الذي لا يطرأ على كرمهِ نقصٌ بأي وجه من الوجوه ،وهذا كلُّه إذا كانت الحاجةُ في مقدور البشر، وأما الأشياء التي لا يقدِرُ عليها إلا الله؛ فسؤالُ غيرِ اللهِ شركٌ كما هو معلوم، نسأل اللهَ أن يحفظَنا جميعاً.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**وإذا استعنْتَ فاستَعِنْ بالله**) يعني: إذا استعنْتَ في شيءٍ من الأمور؛ فاستعِنْ بالله القويّ المتين، القادرِ على كلِّ شيءٍ؛ لا يعجزُهُ شيءٌ في السماوات ولا في الأرض ،ولكم أن تتأمّلوا كيف تحرّرَ المسلمُ من عبودية المخلوقين؛ فما من إنسانٍ إلا وهو عبدٌ شاء أو أبى، ولكنه بين خيارين: إما أن يكون عبداً للهِ الملكِ الحقِّ القويِّ الكريم الغني، وإما أن يكون عبداً لهواهُ ولمخلوقٍ آخر ضعيفٍ بخيلٍ فقيرٍ يمرَضُ ويجوعُ وينام مثلِه ،وفي ذلك يقول ابن القيم:

هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقوا له***وبُلوا برقِّ النفسِ والشيطان

فالمستعين بالله فاز بخيري الدنيا والآخرة ،واللهِ الذي لا إله إلا هو؛ لايوجَدُ مخلوقٌ يملِكُ لنفسِه فضلاً عن غيرِه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ،الكلّ فقير إلى الله، والله هو الغني الحميد ،كماقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ **[فاطر: 15]** .

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(وإذا استعنْتَ فاستَعِنْ بالله)** قرّر العلماءُ -رحمهم الله- جوازَ الاستعانةِ بالمخلوقِ فيما يقدِر عليه، كأن تقول: أعطني حبلي، أو احملْني على دابّتي ونحو ذلك مما يدخل تحتَ مقدورِ العبد، ولكن اعلَم أن جميعَ الخلقِ لا يستطيعونَ شيئاً إلا بمعونةِ الله وتقديرِه، فهم لا يفعلون شيئاً استقلالاً أبداً ،ومع هذا؛ فالأكملُ أن لا يسألَ الناسَ شيئاً أبداً؛ سواء كان في مقدورِهم أو لا..هذا هو الأكمل، وقد جاء أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: **(مَنْ تَكَفّلَ لِي أَنْ لا يَسْأَلَ النّاسَ شَيْئًا تَكَفّلَتُ لَهُ بِالْجَنّةِ)** أو كما قال صلى الله عليه وسلم ،فكان يسقُط سوطُ أحدِهم وهو على راحلتهِ فلا يقُل لأحدٍ ناولنيه..انظروا إلى الدرجاتِ التي وصلوها في السمعِ والطاعة والامتثال! يعني هذه الطبقة؛ طبقةُ الصحابة طبقةٌ عاليةٌ جدًّا، ولذلك كانوا أفضل هذه الأمة، وهم أفضل البشر بعد الأنبياء ،ولْنَعْلَم جميعاً أنَّ السؤالَ والاستعانةَ يشتمِلُ ولابدّ على نوعٍ من التذلّل وإظهارِ الحاجة، وإن كان بدرجات متفاوتة، لكنه مشتملٌ على ذلك ولو كان قليلاً،وهذا التذلل لا ينبغي أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى،فعلى المسلمِ أن يُوطِّنَ نفسَه على ألا يسألَ الناسَ شيئاً ،قد يقول قائل: الناس لا ينفكّون عن الحاجة والتعاون فيما بينهم.

والجواب: قلِّلْ منه على قدْرِ الضرورة والحاجة الملحّة ،لأنَّ كثيراً من الناسِ الآن صار يسألُ في كلِّ شيءٍ ولو كان يعني غيرَ ملحّ..تراه يسأل وهو قائم وهو جالس وهو يمشي، أعطني هذا، ارفع هذا، ضَعْ هذا، كلِّم لي فلاناً ، افعل ...سؤال مستمرّ..هذا كثير والله المستعان.

وعلى كلّ حال: الإنسانُ قد يحتاجُ كثيراً لمثل هذا؛ فإذا سألَ أو استعانَ بغير اللهِ فيما هو جائزٌ؛ فلْيُعلِّقْ قلبَه بالله، ولْيَعْلَم أن المخلوقين أسباب، واللهُ هو ربُّ الأسبابِ، جاعلُ الأثرِ والنتيجةِ في الأسباب.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (**وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَتْ عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**) كلمةُ **"الأمة"** هنا أوسَع من المعنى المتداول،فالمراد بـــــ "الأمة" هنا جميعُ الأمم من إنسٍ وجنٍّ وسائرِ المخلوقات،وفي هذه الجملةِ تثبيتٌ وغرسٌ لحقيقةِ التوكّلِ والاعتمادِ على الله، وتقويةٌ لمسألة الإيمانِ بالقضاءِ والقدَر،فلو جميعُ الأمم من عصر آدم إلى قيام الساعة، من جنٍّ وإنسٍ، بل جميع الملائكة كذلك وما خلَقَ في السماواتِ والأرض؛ اجتمعوا على نملة ليَنفعوها أو يضرّوها والذي لا إله غيرُه؛ لا يملكون من ذلك شيئاً إلا أن يشاء الله،انظروا مثلاً إلى المرضى؛ تجدُ مريضين يأكلان نفسَ الدواء، عند نفسِ الطبيب أحدُهما يموتُ، والآخرُ يُشفَى بأمر الله،وهذه المعاني مستلزمةٌ لأمور منها: كمال المحبة والتعظيم، فهذه تُصرَفُ لمن اتَّصَف بهذه الصفات ،ومنها: كمال الخضوع والتذلّل، ومنها: كمال الطاعة والانقياد...إلخ ،ومن هنا نعرِفُ لماذا توجّه كثير منّا إلى غير الله ؛إلى المخلوقين بالتودّدِ وتقديمِ أمر المخلوقِ على أمر الخالق؟! السبب: غابَ عن أذهاننا هذه المعاني،الأمورُ كلُّها بيد الله؛ فلِمَ التوجّه لغيرِه؟! ولِمَ يعني تُقدِّمُ أمرَ غيرِه على أمرِه؟! لماذا نلجأ إلى محرّمٍ في معاملةٍ أو عبادةٍ أو غيرِها؟! إذا كان الله هو المتصرّفَ في هذا الكون؛ فما عنده لا يُنال إلا بطاعتِه ،فمذاكرةِ مثل هذه المعاني، تحتاجها النفوسُ يومياً..والله المستعان.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**رُفِعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ**) كنايةٌ عن الفراغِ من المقادير والانتهاء منها؛فالأقلامُ رُفِعَتْ فلا يُزادُ شيء ،والصحف جفَّتْ فلا يُمحى

شيءٌ ،وما بَقِيَ إلا العمل كما جاء في "الصحيح" قال أحدُ الصحابةِ رضي الله عنهم: **(فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟أَفِيمَاجَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ،وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ،أَمْ فِيمَانَسْتَقْبِلُ؟فقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم : "بَلْ فِيمَاجَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ" ،قَالَ : فَفِيمَ الْعَمَلُ؟فَقَالَ: "اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له")** أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وقوله –رحمه الله–: **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)** الحديث صحّحه الترمذي، ووافقه على ذلك جلُّ العلماء ،وفيه بعض الألفاظِ يعني التي ساقها المصنف ليست عند الترمذي ؛ لفظة (وإن اجتمعوا على أن يضروك) فلفظة الترمذي في جامعه (ولو اجتمعوا).

وقوله –رحمه الله–: **(وفي رواية غير الترمذي: (اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشّدةِ)** أمامك بمعنى اتجاهك التي تكلّمنا عليها قبل قليل ،والمقصود بالتعرّف على الله هنا: بطاعتِه وامتثالِ أمره والأنسِ به، وهذا يشمل العلمَ أولاً ثم العمل، لابدّ من الاثنين معاً ،كن قريباً من الله في حالِ السَّعةِ ورغَدِ العيشِ والأمنِ والعافية ،لأنَّ الإنسانَ في الغالب ينسى مع كثرة النعم ؛ينسى المنعم بل يطغى أحيانا كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق:6–7 .]** ،فإذا عرَفَ الإنسانُ ربَّه في الرخاءِ؛ نفعتْهُ هذه المعرفةُ والعبادةُ في الشدّة ،وتعرفون قِصّةَ النَّفر الثلاثة الذي آوَوا إلى الغار فسقَطَتْ عليهم الصخرة،هنالك دعوا اللهَ بأعمالِهم التي كانوا يعملونها في الرخاء؛ ففرّج الله عنهم.

ومسألةُ تعويدِ النفس على طاعة الله مسألةٌ في غاية الأهمّية ،وقد نبّه شيخُنا الشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله مراراً أنَّ المسلم إذا لم يُعوِّدْ نفسَه على طاعةِ الله وقراءةِ القرآنِ وكثرة النوافل كلَّ يوم؛ لم يستطِعْ أداءَها على الوجه المطلوب في أوقاتِ ومواسم العبادة

،وهذا صحيح ومجرّب، يُسافِر لأداء العمرة وينوي ختمَ القرآنِ في ثلاثة أيام عند البيت الحرام؛ فلا يستطيع ذلك ، لأنه ليس معتاداً على الطاعة،فهذا أمر مهم، والله الموفّق.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**يعرفْكَ في الشدّة**) المراد بالمعرفة هنا المعيّة الخاصة؛ أن يحيطك بعلمه ومعيّته الخاصة التي تقتضي التأييد والنصرة والحفظ ،وستجدون الشرّاح يتطرّقون هنا لمسألة إضافة المعرفة للمولى جلّ وعلا ،وباختصار: المعرفة يسبقها جهلٌ بالشيء بخلاف العلم، هكذا يُفرّقون بينهما ،وعلى هذا: فكيف تأتي المعرفةُ مضافةً إلى الله سبحانه وتعالى؟! كيف يُقال: (يعرفك في الشدة)؟! والجواب على هذا من وجهين:

أوّلاً: من القوعد المتقرّرة في الأسماء والصفات أنَّ الصفات أوسع من الأسماء، والأفعال أوسع من الصفات، والإخبار أوسَع من الأفعال،قرّر هذا غيرُ واحد من أئمة السنة ،ولفظة الحديث: (يعرفْك في الشدة) جاء بصيغة الفعل، وهذا أوسَع من كونه صفةً..هذا واحد..

الأمر الثاني: جاء هذا على وجه المقابلة والمشاكلة، كقوله تعالى: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[**التوبة :67**] ،وكقوله تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا** ﴾[**الأعراف:51**] .وبهذا أجابَ أهلُ العلم.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**وَاعْلَم أن مَا أَخطأكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئَكَ**) الأمور مقدّرة؛مفروغٌ منها، الأنفاس معدودة، والمدّة محدودة، والأرزاق مقسومة،لا يتقدّم شيءٌ ولا يتأخّر ولا يزيد ولا ينقُص،هذه حقائق من الصادق والمصدوق صلى الله عليه وسلم ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورً ا**﴾[**الأعراف :51**﴾ استشعارُ هذه المعاني، تُورثُ العبدَ طُمأنينةً وثباتاً وسروراً ،أنت في تدبير الحكيم الرحيم ،وكم من حادثٍ كرهناهُ فانقلبَ خيراً عظيمًا ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾[**البقرة: 216**﴾ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**) هذه قاعدة أخبر بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ مَن صبَر وجاهد نفسَه وعدوَّه بالعبادة والعلمِ والدعاءِ وترك المحرّمات والمشتبهاتِ والمداومةِ على الأعمال الصالح؛ ظفرَ بالنصرِ والتأييد والتوفيق،فالنصر مقرون بالصبر ،تريد أن تنتصر اصبِر..لا تستعجِل الأمور..

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً**)هذا في الصبر أيضاً وهو عام؛ لكنه في المصائب والمكاره أبينُ وأظهر ،وهذه أيضاً قاعدةٌ عظيمة ؛كل ما اشتدّ الكرب فأبشِر بالفرج، وكل عُسْرٍ معه يسرٌ؛ بل يسران كما في سورة الانشراح ،وتأمّلوا كيف جاءت كلمة العسر في سورة الانشراح معرّفةً في الموضوعين ﴿**فَإِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾**[الانشراح:5-6]** قال العلماء: هذا للشمول والعموم ،فكلُّ عُسرٍ مهما كان معهُ يُسرٌ، وما هو السرّ في هذا؟ ابن رجَب – رحمه الله– يعني ماهو السر في اقتران النصر مع الصبر والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر، ابن رجب ذكر كلاماً جميلاً هنا ،يقول –رحمه الله– في ما معناه: عند الشدائدِ والكربات إذا استحكَمَتْ خاصّةً واشتدّت ؛يتجرّدُ العبدُ من التعلّقِ بالمخلوقين شيئاً فشيئاً، لظهورِ عجزِهم وضعفِهم ،وتقوى علاقتُه بالله جلّ وعلا، ويرتقي في درجات التوكل ،حينئذٍ تتحقّق فيه قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** ﴾**[الطلاق:2-3]** ..وهذه الجُمَلُ الأخيرةُ في بيانِ أهمية الصبرِ والثباتِ على هذا الدين، وأهميةِ التجاءِ العبد الضعيفِ إلى مولاه الغني ،فكم عصينا وكم تعلّقنا بغيره وكم أعرضنا عن أمره وكم وكم وكم.

فأوصي نفسي وإياكم بالتعلق بالمولى دون مَن سواه، والثبات على هذا الدين بالتعلم والتعليم والتطبيق في ما تبقّى لنا من العمر في هذه الحياة القصيرة.

أسأل الله لي ولكم التوفيقَ والسداد .

والله تعالى أعلم وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.